تقدير الذات لدى الطفل ضحية الاعتداء الجنسي

نور الهدى بزراوي
تلمسان (الجزائر)

الملخص:

إنّ الهدف من الدراسة الحالية هو محاولة التعرف على كيفية تأثير الاعتداء الجنسي على تقدير الذات للطفل الضحية، وذلك من خلال مقاربة عيادية لخمس حالات من الأطفال (3 ذكور و2 إناث)، تراوحت أعمارهم بين 13 و14 سنة، باستخدام اختبار تقدير الذات للأطفال لكوبر سميث، من اقتباس وإعداد "فاروق عبد الفتاح موسى ومحمد أحمد دسوقي".

وقد أظهرت نتائج الدراسة أنّ الاعتداء الجنسي على الطفل يؤدي إلى انخفاض مستوى تقدير الذات لديه، إذ تبيّن أنّ للأسرة دور كبير في ذلك من حيث ردة الفعل العنيفة أو اللا مبالية وغياب المساندة الوالدية.

الكلمات المفتاحية:الاعتداء الجنسي على الطفل - الطفل ضحية الاعتداء الجنسي - تقدير الذات

Abstract :

This study aims at demonstrating the impact of sexual assault on a child's self-esteem; and that, through a clinical approach involving five cases of children (3 boys and 2 girls), aged between 13 and 14 years. This study will be based on the inventory of Coopersmith self-esteem.

The results show that sexual assault leads to a drop in the victim's self-esteem, and also that this outcome is narrowly related to the reaction of the child's family whether it is embodied in aggression or indifference, with a lack of parental support.

Key words :Sexual abuse/sexual assault – A child victim of sexual abuse/assault

مقدمة:

تقول ميلاني كلاين (في: Klein M et Rivière J,1989 :145): "إنّ علاقتنا الجيدة مع ذواتنا (أنفسنا) هي من بين الشروط الّتي تسمح لنا بالتعبير عن الحب والتسامح والحكمة للآخرين"، أي وبمعنى آخر، إذا كان الشخص لا يستطيع أن يتعرّف على انفعالاته (ايجابية كانت أم سلبية) والتعبير عنها، فإنّه لن يستطيع التفاعل بشكل جيد وايجابي مع المحيطين به، وهذا ما قد يؤدي به إلى عدم التطور والارتقاء. وهذا يعني أيضا أنّ صعوبة التّعلم والانفتاح نحو العالم ونحو الآخرين تتموضع في الجانب الوجداني للشخص. من هنا تتضح أهمية الجانب الوجداني، ومن خلاله الجانب النفسي في السماح للفرد بتحقيقه لذاته، ورضاه عنها وتقديره الإيجابي لها، حيث يؤكد "روجرز" على أنّه في النمو الطبيعي للفرد يحتاج فيه إلى اعتبار للذات وهي قائمة على إدراك الشخص لتقدير الآخرين له، فإن كانت القيمة المعطاة له سلبية أو ناقصة فمعنى ذلك أن مدركاته تكون متناقضة مع صورته عن ذاته".(حامد عبد السلام زهران، بدون سنة : 81-82). ويرى (ج.ف دهنين وآخرون Dhenin et coll.,2004 :25) أن تطوير وتنمية تقدير الذات يعتمد على تطوير وتنمية مكوناته الأساسية ، وهي : الإحساس بالأمن، الإحساس بالهوية، الإحساس بالانتماء، الإحساس بالملكات المدرسية، الإحساس بالملكات الاجتماعية، كما يرى أن تقدير الذات يسمح للفرد بالعمل وبالمبادرة وبتقبل الذات بكل سلبياتها وايجابياتها دون مثالية. ففي حالة غياب تلك المكونات الأساسية، يصبح من المتوقع غياب لتنمية وتطور تقدير

الذات. ومن بين أخطر الحالات الّتي تغيب وتنعدم فيها تلك المكونات: حالة الاعتداء الجنسي على الطفل، والّتي تعتبر من أبشع الظواهر الممارسة على الطفل على وجه الأرض، ذلك أنّ الأمر يتعلّق باختراق مزدوج: اختراق للجسم، واختراق للنفس، حيث يشير معظم المهنيين والمختصين والباحثين في مجال الطفولة بأنّ الاعتداء الجنسي على الطفل قد يصبح مصدرا لعدد ضخم من الأضرار السيكولوجية. فالأطفال المعتدى عليهم جنسيا قد يعانون سلسلة من المشاكل النفسية، على المدى القصير والطويل، مثل القلق، والاكتئاب والعدوانية، والمحاولات الانتحارية، والسلوكات الجنسية الغير مكيفة،.. فانطلاقا من ذلك، ونظرا لما يحمله تقدير الذات من أهمية في حياة الفرد من أجل بناء شخصية سوية تنمو وتتطور، جاءت الدراسة الحالية للبحث في كيفية تأثير الاعتداء الجنسي على الطفل على تقديره لذاته.

إشكالية الدراسة:

إنّ الاعتداء الجنسي على الطفل هو بمثابة غزو لحياته وإقحام له في مجال "الجنس"، والّذي لم يكن محضرا له نفسيا من قبل. فالاعتداء الجنسي على الطفل يشكّل صدمة حقيقية بالنسبة له، قد يرافقها كمّ هائل من المشاعر والأحاسيس (اختراق، موت، إغماء، عدم Néant، ...)، وهو عبارة عن صدمة عنيفة تفوق قوة ردود فعل الطفل وقدرته على فهمها، متسببة في إحداث ردود فعل مرضية كاستجابة لعدم دمج تلك الصدمة على مستوى الشعور.

إنّ الاعتداء الجنسي على الطفل كيف ما كان نوعه، يحمل معه انعكاسات سلبية ثقيلة حتّى وإن تعذر علينا تعميم ذلك، مثلما أشار إليه (Cyrulnik B,1996:) أثناء حديثه عن مفهوم الجلد Résilience، حيث قال: كلّ وضعية قصوى، على اعتبار أنّها عملية تدميرية للحياة، تحتوي بشكل مفارق paradoxalement طاقة حياتية، بالضبط حيث تحطمت الحياة، بشرط أن يتمّ التغلب على تلك المحنة. لكن واقع الاعتداء على الطفل الجنسي على الطفل يضعنا أمام حقيقة لا يمكننا أن نتجاهلها، ألا وهي أنّنا أمام كائن بشري لا يزال في مرحلة نمائية من شأنها أن تقوده بشكل سوي وتدريجي نحو عالم لا يزال يجهل عنه الكثير، وبالتّالي أي انحراف عن الشروط الأساسية لعمليتي النمو والتطور تكون نتيجتها انحراف عن النمو السليم له غالبا ما يعبر عنه الطفل من خلال اضطرابات نفسية وسلوكية متعددة تعكس بشكل غير مباشر واقع المعاش النفسي، والّذي يعتبر تقدير الذات مظهرا من مظاهره، حيث يشير(فاروق عبد الفتاح سلامة، 1987: 21) إلى أنّ تقدير الذات قد يتأثر بالفرد نفسه، إذ يرتبط ذلك باستعداداته وقدراته والفرص التي يمكنه استغلالها بما يحقق له النجاح، أو أنّه يتأثر بالبيئة الخارجية وبالأفراد الّذين يتعامل معهم، فإذا كانت البيئة تهيئ للفرد المجال للانطلاق والإنتاج والإبداع فإنّ تقديره لذاته يرتفع، وأمّا إذا كانت البيئة محبطة وتضع العوائق أمام الفرد بحيث لا يستطيع أن يستغل قدراته واستعداداته ولا تحقيق طموحاته، فإنّ تقديره لذاته سوف ينخفض. ويعرف معجم علم النفس المعاصر تقدير الذات بأنّه آمال الشخص المستقبلية وميزاته ووضعه بين الآخرين ،ويعتبر منظما هاما لسلوك الشخص وعلاقاته مع الغير ،كما أنه يرتبط بشكل وثيق بمستوى التطلعات، أي بمدى الصعوبات التي يرسمها الفرد لنفسه، حيث أوضح علماء النفس مدى تأثير تقدير الذات على النشاط المعرفي للفرد (حمدي عبد السلام رضوان،1992: 276).

فانطلاقا مما يلحقه الاعتداء الجنسي على الطفل من آثار وانعكاسات سلبية على الطفل الضحية، ونظرا لأهمية تقدير الذات في السماح للفرد بالتكيف والتطور تبعا للحقائق والحاجات الجديدة، جاءت الدراسة النفسية الحالية للبحث في كيفية تأثير الاعتداء الجنسي على الطفل على تقديره لذاته. ويمكن تحديد إشكالية الدراسة في الإجابة عن التساؤل التالي: هل يؤدي الاعتداء الجنسي على الطفل إلى انخفاض تقدير الذات عند الطفل الضحية؟

فرضية الدراسة:

يؤدي الاعتداء الجنسي على الطفل إلى انخفاض تقدير الذات عنده.

الهدف من الدراسة:

إن الدراسة الحالية ترمي إلى الكشف عن كيفية تأثير الاعتداء الجنسي على تقدير الذات للطفل الضحية.

أهمية الدراسة:

تأتي أهميّة هذه الدراسة من أهمية موضوعها ألا وهو كيفية تأثير الاعتداء الجنسي على تقدير الذات للطفل الضحية.

كما تأتي أهمية الدراسة نتيجة للزيادة الحادة في نسب الأطفال المعتدى عليهم جنسيا في المجتمع الجزائري.

كما أنّ نتائج هذه الدراسة سوف تكون مفيدة من الناحية العلمية في إعداد برامج الوقاية وعلاج الآثار النفسية للاعتداء الجنسي على الطفل الضحية.

تحديد المفاهيم الإجرائية:

- الاعتداء الجنسي: هو استخدام الطفل من طرف مراهق أو راشد من أجل إشباع رغبات جنسية من شأنها تعريض الطفل لأي سلوك أو نشاط جنسي.
- تقدير الذات: هو التقييم الّذي يضعه الطفل لنفسه من خلال إجاباته على مجموع العبارات الواردة في مقياس تقدير الذات المستخدم في الدراسة.

منهج الدراسة:

ومن أجل معالجة إشكالية هذه الدراسة تمّ الاعتماد على المنهج الوصفي. فمن بين الطرق أو الأساليب الّتي يعتمد عليها في معاملته مع الظواهر المدروسة، دراسة الحالة والّتي تتيح إمكانية البحث في كيفية تأثير حدث معيّن على سلوك الحالة (محمد مزيان، 1999: 59-60)

مكان ومدة الدراسة:

لقد تمّت الدراسة بولاية تلمسان. فتماشيا مع طبيعة موضوع الدراسة، ونظرا للصعوبة المرتبطة بحساسيته، فقد تطلبت عملية تحديد حالات الدراسة البحث المتواصل عن الأطفال الّذين تمّ الاعتداء عليهم جنسيا سواء في مراكز حماية الأطفال أو المدارس أو خارج المجال المؤسساتي (أي بواسطة بعض الزملاء الممارسين الأحرار)، مع الحرص على الحصول على موافقة الأولياء للقيام بمختلف مراحل الدراسة.

عينة الدراسة:

أقيمت الدراسة على خمسة حالات (3 ذكور و2 إناث) من الأطفال، تراوحت أعمارهم بين 13 و14 سنة، بحيث تتوفر فيهم الشروط التالية:

- أن تكون الحالات قد تعرضت لاعتداء جنسي.
- أنّ يكون المعتدي أكبر من الحالات، أي أن يكون راشدا أو مراهقا يكبر المعتدى عليه بخمس سنوات على الأقل.
- أن لا يقلّ سن الحالات المعتدى عليها عن 8 سنوات، وذلك استنادا إلى ما أشارت إليه (Suzanne Haughebart, 1999 :19)، بأنّه لا يمكننا الحديث عن تقدير ذات حقيقي قبل 7 أو 8 سنوات، ذلك أنّ النمو العقلي للطفل لا يسمح

له بإلقاء نظرة ناقدة على ذاته، وهو لا يملك القدرة على مخاطبة الذات داخليا. ويمكـن تلخـيص أهـم المعطيـات الخاصّة بحالات الدراسة في الجدول التالي:

الجدول رقم(1) يوضح بيانات عامة حول حالات الدراسة:

الحالات	الجنس	السن	المستوى الدراسي	عدد الإخوة	المرتبة بين الإخوة	الدخل الاقتصادي	السوابق المرضية	ملاحظات
م	أ	14	ابتدائي	3 بنات	البكر	متدني	لا شيء	الأب مجهول الهوية
ب	أ	14	أولى متوسط	أخت وأخ	الأصغر	متوسط	لا شيء	الأب مجهول الهوية، الأم متوفية
ج	ذ	13	ثانية ابتدائي	أخت واحدة	البكر	متوسط	لا شيء	
د	ذ	13	ثانية ابتدائي	3 أخوات	الثانية	متوسط	لا شيء	
ه	ذ	14	أولى متوسط	6 إخوة و 3 أخوات	الأصغر	متوسط	لا شيء	

أدوات الدراسة:

ومن أجل تحقيق أهداف الدراسة تمّ استخدام الأدوات التالية:

- المقابلة العيادية
- الملاحظة
- اختبار تقدير الذات للأطفال

نتائج الدراسة: (عرض الحالات):

الحالة الأولى: "م" طفلة بيضاء البشرة، ذات قامة مناسبة لسنها، لباسها غير مرتب نوعا ما، ومظهرها غيـر نظيـف. تظهر عليها ملامح الحزن واليأس.

تعيش الحالة وسط عائلة متشردة، حيث تزوجت الأم ثلاث مرات (دون عقد زواج). تعد الحالة ثمـرة الـزواج الأول، وهي لا تعرف أباها لأنّ الأم انفصلت عن زوجها الأول مباشرة بعد ولادة "م" لتتزوج الأم للمرة الثانية مع رجل لا يعمل. فكانت الأم تقوم بالسرقة والتّسول برفقة أبنائها في بعض الأحيان. وفي أوقات أخرى، كانت الحالة تبقى مـع أختيها في المنزل برفقة زوج الأم، الّذي كان يتعامل معهم بقسوة وعنف، ويسيء معاملتهم (يضربهم ويشتمهم) إلـى أن وصل الأمر إلى التعدي جنسيا على الحالة بحضور أختها الّتي تصغرها سنا (أي الوسطى). وعندما علمت الأم بـالأمر لم تفعل أيّ شيء ولم تقم بأي إجراء، بل اكتفت باصطحاب بناتها معها أثناء غيابها عـن المنـزل وقيامهـا بالتسـول والسرقة، الأمر الّذي تسبب في تعرض الحالة إلى عملية اعتداء جنسي ثانية هي وأختها الأصغر منهـا (أي الوسـطى) من طرف شخص مجهول لا تعرفانه، والّذي أوهمهما بأنّ أمّهما تبحث عنهما، فاصطحبهما إلى المنزل وقام بالاعتـداء عليهما جنسيا. فنظرا لما تعرضت إليه الأختان من تعدي جنسي وكذا المعاملة السيئة لزوج الأم قررت الأخت الكبـرى الهروب من المنزل مصطحبة أختها معها إلى أن عثرت عليهما الشرطة فنقلتهما إلى مركز حماية البنات لولاية تلمسان.

وتؤكّد الحالة هنا أنّ سبب وجودهما في المركز هو زوج الأم وليست الأم، لأنّ هذه الأخيرة تحبهمـا وتعتنـي بهما، وأنّها كانت تقوم بالتسول والسرقة من أجل توفير حاجياتهم هي وأختيها. وهنا تؤكّد الحالة بأنّها نادمة على هروبها من المنزل.

وما يميّز الحالة هو هدوؤها سواء أثناء حديثها أو في معاملتها لرفيقاتها في المركز، علما أنّها تفضل الانعـزال عنهنّ.

نتائج مقياس تقدير الذات للحالة الأولى:

تحصلت الحالة على 5 درجات وهذا ما يدل على وجود تقدير ذات منخفض جدا، الأمر الّذي يؤكّـده محتـوى بعض البنود الّتي تتوافق مع تصريحات الحالة أثناء المقابلات، مثل البند (4): "لا يمكن أن أتّخذ القرارات في أي موقف دون مشقة كبيرة"، والّذي علّقت عليه كالتالي: لا يمكنني التصريح بما لدي كأفكار، فكيف لي أن أتّخذ القرارات لوحدي. وأما البند (15) فهو انعكاس صريح وواضح لتقديرها المنخفض لذاتها: "رأيي عن نفسي منخفض". وفيما يتعلّق بالجانب العلائقي، فقد كانت العلامة (0)، أي أنّ الحالة لم تحصل على أية درجة، وهذا ما يعكس تدني الجانب العلائقي لـديها، وهو ما تؤكّده تصريحاتها عندما تشير إلى أنّها ترى نفسها مختلفة عن بقية الناس وأنّ لا أحد يحبّهـا ولا أحـد يفـرح لوجودها، وأنّه بعد تعرّضها للاعتداء الجنسي لم يعد أحدا يرغب فيها أو يحبها. كما تضيف أنّه بالرغم من أنّها متأكّـدة أنّ أمّها تحبّها وتخاف عليها إلاّ أنّها لا تفهم لماذا لم تفعل أيّ شيء ضد زوج أمّها الّذي اعتدى عليها، وهـو لا يعمـل وليس أبا لها ولا لإخوتها. وهذا ما قد يوحي بوجود إحساس بالإهمال Abandon لدى الحالة، وبأنّهـا مرغمـة علـى تحمّل عبء الاعتداء الجنسي عليها لوحدها.

الحالة الثانية: "ب" طفلة نحيفة الجسم، ذات بشرة سمراء، وقامة متوسطة. ثيابها نظيفة ومظهرها مرتب. تعـيش "ب" وسط عائلة تتكوّن من الأم، الجدة وأخت لها. وأما بالنسبة للأب، فالحالة لا تعرفه وليس لديها أية معلومة عنه. وحسب ما صرحت به الحالة، فقد كانت تعيش في ظروف هادئة وعادية، تلقى العناية والحنان والحب من أمّها وجدتها، اللّتـان كانتا توفران لها جميع ظروف الراحة والاطمئنان، إلاّ أنّها قد لاحظت أمرا غير عاديا يحدث في المنزل، ولم تستطع أن تفهمه، وهو تردد مجموعة من الرجال إلى منزلهم كلّ مساء، ولم تكن أمّها تسمح لها بـالخروج مـن غرفتهـا أثنـاء تواجدهم بالمنزل. وحسب الحالة دائما، فإنّ واقعة التعدي الجنسي عليها تعود إلى أحد الأيام، حيث لم تكن الأم بالبيـت، جاء أحد الرجال من الّذين كانوا يترددون على المنزل واعتدى عليها جنسيا. ولمّا علمت الأم بالأمر حاولـت التخفيـف على الحالة ولم تتخذ أيّ إجراء ضد الشخص المعتدي. فمنذ ذلك اليوم ساءت الحالة النفسية للحالة، بحيث انعكس ذلـك على تحصيلها الدراسي الّذي عرف تراجعا كبيرا. وتواصل الحالة الحديث بالقول أنّه في أحد الأيام، وعند عودتها مـن المدرسة وجدت رجال الشرطة داخل المنزل، فوجدت أمّها مطروحة على الأرض ميتة (مقتولة). حيث اتهمـت الجـدة بقتلها، وتمّ وضعها في السجن، ومن ثمّ نقلت الحالة إلى مركز حماية الطفولة والبنات بولاية تلمسان. ثمّ تضيف قائلـة:" أنا الآن أدرك أنّ حياتي تحطمت مرتين، أولاهما عندما تمّ الاعتداء علي، وثانيا عندما قتلت أمّي وأدخلت جـدتي إلـى السجن. فالآن يجب عليّ أن أعتمد على نفسي وأحاول أن أنجح في دراستي".

نتائج مقياس تقدير الذات للحالة الثانية:

تحصلت الحالة على 10 درجات في هذا المقياس، وهذا ما يدل على انخفاض مستوى تقدير الذات لديها، وذلـك في كلّ المجالات (الشخصي، العائلي، العلائقي والمدرسي). ومن البنود الّتي توضح ذلك ما يلي: البند رقم (1)، الّـذي تعبّر من خلاله بأنّها تريد أن تكون شخصا آخر لم يتعرض للاعتداء وتكون طبيعية كبقية البنات في مثل سنها، والبنـد (14): "(لا) يتبع زملائي أفكاري"، فهي لا ترى بأنّ رفيقاتها يفكرن مثلها، وهو ما يتماشى مع استجابتها في البند (5): (لا) يفرح الآخرون بوجودي معهم، وكذا البندين: (4) حيث لا يمكنها اتخاذ القرارات لوحدها، والبند (10) "يمكـن أن أستسلم بسهولة كبيرة. لكن وبالرغم من تدني تقدير الذات لدى الحالة، والّذي توضح من خلال النتيجة المتحصل عليها،

إلاّ أنّ ما يمكن اعتباره إيجابيا لديها وقد يكون دعما وسندا لها، ويساعدها في تخطي حالتها النفسية، ووعيها بالوضـــعية الحالية الّتي تعيشها ومحاولتها التكيف معها، هو ما يظهر من خلال تعليقها على البندين (2): لا ترغب في تغيير أشياء تخصها لأنّه لا يمكنها ذلك، وذلك بسبب تعرضها للاعتداء الجنسي. فهي لا تستطيع تغيير هذا الوضع لأنّه أمر حـــدث وانتهى. والبند (13) حيث أنّها (لا) ترى أنّ كلّ الأشياء تختلط في حياتها، فهي تتقبّل وضعها ولا يمكنها تغييـــره، يـــل عليها أن تتخطى هذه المرحلة (الواقعة). وفيما يتعلق بالجانب العائلي، فقد تكون الاستجابة للبنـــد (16) أكثـــر تعبيـــرا وانعكاسا للحالة النفسية الّتي كانت تعيشها الحالة (قلق، خوف، عدم الإحساس بالأمن والأمان)، إذ تشير "ب" هنا إلى أنّ رغبتها في ترك المنزل سببها الخوف من الأشخاص الّذين كانوا يترددون على المنزل، فكانت دوما تخشى بأن يتكـــرر ما حدث لها سابقا (أي الاعتداء عليها جنسيا)، خاصة وأنّ الأم لم تفعل أي شيء ضد من تعدى عليها.

الحالة الثالثة: "ج" طفل ذو قامة متوسطة، أسمر البشرة، نحيل الجسم، لباسه نظيف ومظهره مرتب. ينتمي الحالة إلـــى عائلة مكوّنة من الأب، الأم، الجدة وأخته الصغرى. ونظرا لضرورة استشفاء هذه الأخيرة (الأخت)، اضطرت الأم إلى مرافقتها والمكوث معها في المستشفى لمدة سبعة أشهر. وأثناء هذه الفترة بقي الطفل في المنزل مع الأب والجدة . وهي الفترة ذاتها الّتي تعرض فيها الطفل إلى اعتداء جنسي من طرف أحد الجيران، وهو شاب في 17 من عمره والّذي كان جد مقرّبا للحالة، يثق به ثقة كبيرة. وقد تكرّرت العملية ثلاث مرات دون أن يكتشف الأم، وذلك بسبب غياب الأم. لكن في المرة الرابعة كانت الأم متواجدة بالمنزل، وقد لفت انتباهها عودة الحالة "ج" إلى المنزل في حالة غير طبيعية، الأمر الّذي دفع بها إلى الاستفسار عن السبب، فلم يخبرها الحالة عما حدث خوفا من ردة فعلها إلى أن اكتشـــفت الأم وجـــود سائل في الملابس الداخلية، فاضطر"ج" إلى إخبار الأم بالحقيقة. وهنا تشير الحالة إلى أنّ الأمور تغيّرت وبأنّ وضـــعيته تحولت وأخذت منعرجا آخر، بحيث تغيّرت معاملة العائلة اتجاهه وبشكل خاص معاملة الأم. ويؤكّد الحالة أنّ الأب كان أكثر تفهما للوضع، في حين أنّ الأم أصبحت تشك في جميع سلوكات الحالة وتحاسبه على كلّ صغيرة وكبيـــرة وتتبـــع جميع تحركاته وتتقصى عن جميع علاقاته مع أقرانه وتضربه لأتفه الأسباب وعلى أي يقوم به. ومـــن جهـــة أخـــرى يضيف العالة قائلا بأنّ علاقته وتعامله تغيّر مع أصدقائه من نفس فئته العمرية، وكذا مع الأشخاص الّذين يكبرونه ســـنا والّذين فقد ثقته فيهم لدرجة أنّه أصبح يستشير أمه بخصوص الأشخاص الّذين يرافقهم ويلعب معهم. كما أصبح يخـــاف الخروج من المنزل لدرجة عدم الرغبة في الذهاب إلى المدرسة.

نتائج مقياس تقدير الذات للحالة الثالثة:

تحصل "ج" على 7 درجات من أصل 25، وهذا ما يدل على انخفاض وتدني واضح ودال على مستوى تقـــدير الذات. وقد يبرز ذلك على مستوى تقدير الذات الشخصي للحالة حيث تحصل على 4 درجات من أصل 10، وهو مـــا يظهر من خلال استجاباته وتعليقاته عليها: البند (15) "رأيي عن نفسي منخفض"، يدعمه البند (4) إذ لا يمكنـــه اتخـــاذ القرارات لوحده، فهو يخاف من أن يكون رأيه خاطئا، ولا يمكنه التصريح بما لديه خوفا من أن يتلقى اللوم من طـــرف أفراد العائلة، وقد أشار (رمضان، 2000: 218) إلى أنّ الفرد ذو تقدير الذات المنخفض يميل إلى الشـــعور بالهزيمـــة حتّى قبل أن يقتحم المواقف الجديدة أو الصعبة، حيث أنّه ينوقع فقد الأمل مستقبلا. وكذا البند (13) حيث يشـــعر بـــأنّ الأمور تختلط في حياته، وذلك منذ تعرضه للاعتداء من طرف أقرب الأشخاص لديه، والّذي كانت لديـــه ثقـــة كبيـــرة اتجاهه، وهو نفس السبب الّذي جعل الجميع يشك في تصرفاته. ونفس الحال بالنسبة للمجال العائلي أيـــن كـــان تعليقـــه وبشكل عام كما يلي: بالنسبة للحالة فإنّ الأم لم تتفهم وضعها ولم تراعي مشاعرها بدليل أنّها أصبحت تضـــربه لأتفـــه الأسباب، وهذا ما يعكس عدم تقبل الأم لما حدث لابنها والأثر الكبير لصدمة الاعتداء الجنسي على ابنها، وهذا مـــا قـــد

يوحي لنا بوجود جرح نرجسي لدى الأم لدرجة عدم إدراكها بأنّ ابنها كان ضحية للاعتداء وليس العكس، وبالتّالي فهو يحتاج إلى الدعم والمساندة والمساعدة، وليس تدعيم إحساسه بالذنب وإلقاء اللوم على الذات. فالحالة "ج" يرى بأنّ جميع المحيطين به أصبحوا لا يحترمونه ويسخرون منه، وخاصة أقرانه الّذين أصبحوا ينعتونه بأسماء وألفاظ غير لائقة ويتهمونه بأنّه قام بفعل غير لائق. وعليه فقد أصبح "ج" يرى بأنّ الآخرين هم أحسن منه، ما جعله يتجنب الخروج من المنزل لم تعد لديه رغبة في الذهاب إلى المدرسة حيث أدى ذلك إلى تراجع ملحوظ في تحصيله الدراسي.

الحالة الرابعة: "د" طفل نحيل الجسم، متوسط القامة، ذو ثياب مرتبة ومظهر أنيق. تتكوّن العائلة الّتي يعيش وسطها الحالة "د" من الوالدين وثلاث أخوات. فهو يعتبر الولد "الذكر" الوحيد والمدلل. كان يدرس بشكل عادي، مستواه الدراسي متوسط ولديه علاقات جيدة مع أبناء الجيران الّذين هم من نفس فئته العمرية، وبعض الأصدقاء الّذين يقاسمهم اللعب.
تعرّضت الحالة إلى عملية اعتداء جنسي جماعي من طرف ثلاث أشخاص لا يتعدى سنهم 18 سنة، هم أبناء الجيران، حيث استغلّ هؤلاء الشباب حب الحالة للخيول فاستدرجوه إلى أحد المستودعات وأوهموه بأنّهم سيأخذونه لمشاهدة الخيول. لكن في حقيقة الأمر، فقد اصطحبوه هنالك من أجل الاعتداء عليه جنسيا. وخوفا من ردة فعل الوالدين، كتم الحالة الأمر ولم يخبرهما. إلاّ أنّ الأب قد علم بالأمر من طرف أحد الجيران الّذي رأى الحالة أثناء خروجها من المستودع وهو يبكي وثيابه غير مرتبة، فتقرّب منه وسأله عما حدث له، فأخبره الحالة بكلّ شيء. وبعدما علم الأب بما حدث قام بضرب الحالة "د"، ومنذ الحادثة تغيّر مجرى حياة الحالة وتغيّر بذلك سلوكه، حيث أصبح كثير الحركة، عدوانيا وعنيفا مع أخواته وأقرانه، وحتى مع الأم، وقد أشار كلّ من (مسن وآخرون، 1986: 363-364) إلى أنّ الأطفال الّذين يفتقرون عموما إلى الثقة بالذات، فإنّهم من ناحية أخرى يفضلون أن ينغمسون في الزحام، فهم يخشون التعبير الأفكار غير الشائعة أو غير المألوفة ويتجنّبون اجتذاب الانتباه ويؤثرون البقاء كمنعزلين عن الانخراط في التفاعلات الاجتماعية، أو نجدهم مفرطين في العدوانية والتّمرد استجابة لما لديهم من نقص في الثقة بالذات. كما انخفض مستوى تحصيله الدراسي بسبب عدم التركيز وكثرة السرحان والسهو، والميل إلى العزلة. فقد أضحى الحالة يخاف كثيرا من الأب الّذي أصبح يضربه لأتفه الأسباب، ونفس الشيء بالنسبة للأم الّتي أصبحت تضربه هي أيضا بسبب سلوكه العدواني اتجاهها.

نتائج مقياس تقدير الذات للحالة الرابعة:

تحصّل الحالة على 10 درجات من أصل 25، وهذا ما يدل على انخفاض مستوى تقدير الذات لديه وخاصة في المجالين الشخصي والعائلي، حيث أنّ رأيه عن نفسه منخفض ولا يمكنه قول ما يريد وأنّ التعود على أمر ما يستغرق منه وقتا طويلا. كما أنّه يتضايق بسهولة في المنزل، وأنّ والديه لا يراعيان مشاعره، وفي كثير من الأحيان يرغب في ترك المنزل. ورغم كلّ ذلك، يضيف "د" بأنّه لن يستسلم بسهولة وبأنّه سيحاول تغيير نظرة الآخرين إليه.

ثمّ يعود ويؤكّد بأنّ تعرضه للاعتداء الجنسي قد أحدث تغيّرا كبيرا في مجرى حياته وبالأخص داخل الوسط العائلي، حيث أنّ والديه أصبحا يعاملانه بقسوة، وبأنّهما يشعرانه بالذنب. فالأب، ومنذ تعرضه للاعتداء اتّهمه بأنّه هو من ذهب مع أولائك الأشخاص وبأنّه سمح لهم بالاعتداء عليه، وانهال عليه بالضرب. وأما الأم فلا تتوقف عن شتمه وقذفه بالكلام الغير لائق لدرجة أنّه غالبا ما يفكر في الهروب من المنزل لولا خوفه من التّعرض للاعتداء مرّة ثانية، ويؤكّد (سبيلبرجر Spilberger) أنّ الظروف الضاغطة في علاقة الطفل بوالديه (كالحرمان العاطفي ، وعدم التقبل،...) تجعل من الطفل يشعر بعدم الأمن وعدم الثقة مع انخفاض في تقدير الذات، ممّا يؤثر على الأحداث الّتي يمرّ بها (سبيلبرجر وآخرون، 1984: 33-34).

الحالة الخامسة: "ه" طفل معتدل القامة، أسمر البشرة، ثيابه نظيفة ومظهره مرتب. تميّزت حياة "ه" بالهـدوء والأمـان والطمأنينة وسط عائلة يملأها الحنان والاستقرار إلى غاية تعرضه للاعتداء الجنسي. ففي أحد الأيام، وهو يلعب برفقـة صديق له، قام أربعة أشخاص باختطافهما. تمكّن صديقه كم الفرار في حين لم يتمكّن "ه" من ذلك، حيـث قـام هـؤلاء الأشخاص بالاعتداء عليه جنسيا. عاد الحالة 'إلى المنزل وهو في حالة بكاء، وخوف، وارتعاش على مسـتوى الجسـم ككلّ، ملابسه ممزقة وغير مرتبة، وتظهر عليه جروح في أماكن عديدة من الجسم. وعندما علم الأب بما حدث لـــ "ه" لم يتقبّل الأمر وقام بضربه.

وبعد مرور بضعة أيام لوحظ على الحالة "ه" تأخر في تحصيله الدراسي، وفقدان الوزن، كثرة البكـاء يشـكل مفـاجئ وبدون سبب ظاهر، حزن، عدم الرغبة في مشاركة الآخرين في أي نشاط داخل المدرسة، إضافة إلى تشـتت الانتبـاه وغياب التركيز. وقد وصلت الحالة إلى عدم الرغبة في الذهاب إلى المدرسة بسبب سخرية زملائه منه. كما أكّد "ه" بأنّ علاقته بأسرته قد عرفت منعرجا آخرا، حيث أنّه لم يعد يحس بالأمان والسبب الرئيسي في ذلك هو عـدم تقبـل أبيـه للأمر. ويضيف بأنّ الشخص الوحيد الّذي تفهّم الأمر وقام بمساعدته هو أخاه الأكبر الّذي قام باصطحابه إلى المخـتص النفسي من أجل المتابعة النفسية.

نتائج مقياس تقدير الذات للحالة الخامسة:

تحصّل "ه" على 11 نقطة في المقياس، وهذا ما يوحي بوجود مستوى منخفض لتقدير الذات ميّزه تدني واضـح في المجال العائلي، وهذا ما توضحه تعليقات الحالة: فالأب لم يساعده على تقبّل وضعته، بل أنّ ردة فعلـه قـد أثـرت بشكل سلبي على الحالة، وهذا ما يتبيّن من خلال البندين (9) و(20) حيث يرى الحالة أنّ عائلتـه (وخاصـة الأب) لا تراعي مشاعره ولم تتمكّن من فهمه. إلاّ أنّ ذلك لم يدفع به للتفكير في الهروب من المنزل بالرغم من شعوره بالضـيق أحيانا، وأيضا خوفا من تكرار ما حدث.

وأما في المجال الشخصي، فإنّ استجابات الحالة تشبه إلى حد ما استجابات الحالات الأخرى، مثل: أنّه يرى بأنّ كلّ شيء يختلط في حياته، وأنّه يرغب في أن يكون شخصا آخر وبأنّه توجد أشياء كثيرة يريد تغييرها، حيث أنّه يربط ذلك بالاعتداء الجنسي عليه مؤكّدا أنّه لولا ذلك لكانت حياته مثل حياة الأشخاص العاديين.

كما جاء تقدير الذات العلائقي جد منخفض أيضا وهو راجع إلى فقدان الحالة الثقة في كلّ من يحتك بهـم. فقـد أصبح يخاف من أي شخص يريد التقرّب منه، إذ أصبح يشك في كلّ من حوله. ونفس الشيء بالنسـبة لتقـدير الـذات المدرسي، والّذي يرجع سببه إلى رغبة الحالة في تجنب السخرية الّتي أصبح يتعرّض لها ما أدى إلى تراجـع مسـتواه الدراسي مع فقدان التركيز ونقص الانتباه.

مناقشة النتائج:

لقد تحققت فرضية البحث، والّتي نصت على أنّ الاعتداء الجنسي على الطفل يؤثر في تدني مستوى تقدير الذات عنده، وهذا ما يتفق مع قول (الأمين بخاري، بدون سنة:2) : إذا كانت التجارب الّتي مرّ بها الطفـل قاسـية ومؤلمـة، كاعتداء بدني أو نفسي أو جنسي متكرر، يتكوّن لدى الطفل انطباعا سلبيا كبيرا عن ذاته مصـاحبا بمشـاعر الخـوف والخجل والجبن والتردد مع الكآبة وعدم الثقة بالنفس.

وتلتقي نتائج الدراسة الحالية بطريقة غير مباشرة مع ما توصل إليه كـلّ مـن(Kendall-Tackett, Meyer Williams et Finkelhor,1993) من خلال قيامهم بعملية جرد لـ 45 دراسة عيادية، حيث اتفقت تلـك الدراسـات على أنّ الأطفال الّذين تعرّضوا للاعتداء الجنسي يظهرون اضطرابات أكثر من الأطفال الّذين لم يتعرّضوا لأي نوع من

الاعتداء. فقد تبيّن أنّ كلّ من الخوف، واضطرابات ما بعد الصدمة، والمشاكل السلوكية، وانخفاض تقدير الذات، تظهر بشكل متكرر ضمن قائمة طويلة من الأعراض المسجلة لدى الأطفال المعتدى علـيهم جنسـيا (فـي: Yves-Hiram Haesenoets, 2003 :85).

وهذا ما يتفق أيضا مع ما أوضحه كلّ من أوواتس وآخرون .Oates et al بأنّ أهم متغيّر من أجـل إحـداث تحسن لدى الأطفال ضحايا الاعتداء الجنسي هو تحسين التوظيف العائلي، حيث وجد أنّ 56% من بين هؤلاء الأطفـال يتميّزون بوجود تقدير ذات منخفض (Fédération française de psychiatrie, 2004 :41).

هذا وتشير (نهى القاطرجي، 2003: 358) إلى أنّ بعض الأطفال ضحايا الاعتداء الجنسي يظهرون أعراضـا اكتئابية سواء قبل أو بعد الإعلان عن الاعتداء، حيث يظهر الطفل حزينا أو منغلقا على نفسه، وهذا ما قد يتماشى مع ما توصّلت إليه الدراسة الحالية على اعتبار أنّ تدني مستوى تقدير الذات هو عرض أساسي من أعراض الاكتئاب.

كما أشارت بعض الدراسات الإكلينيكية إلى أنّ زنا المحارم والأشكال الأخرى من الاعتداء الجنسي على الأطفال تحدث سلسلة من الأعراض السيكولوجية الّتي من شأنها أن توحي لنا بتعرض الطفل إلى اعتداء جنسي. فمن بين أهـم هذه الأعراض تدني مستوى تقدير الذات، صعوبات في المجال العلائقي، مشاكل جنسية، الاكتئاب، الحصر، الرهابـات والأعراض السيكوسوماتية.

وقد كان تقدير الذات الشخصي هو أكثر الأبعاد تأثرا لدى جميع الحالات. فمن مؤشرات الاعتداء الجنسي نجـد الاضطرابات النفسية الّتي يظهر فيها نقص تقدير الذات الشخصي، والّذي هو نتاج للشعور بالذنب والخجل، حيث يبـدأ الطفل بلوم نفسه واعتبارها السبب فيما وقع له، يرافقه إحساس بالضعف والعجز بأنّه غير قادر على تغييـر الوضـعية الّتي تحوّل إليها مجرى حياته. فقد أشار كلّ من فينكلير وبراون أثناء قيامهما بدراسة صيرورة الصدمة الجنسـية بـأنّ الطفل الّذي تمّ الاعتداء عليه جنسيا من طرف الراشد لا يمكن أن تكون لديه صورة إيجابية عن نفسه، ولا يمكنه تقبـل ذاته كشيء خاص به. وهذا ما يجعله يولد في نفسه مشاعر الذنب والعار، وبالتّالي تؤثر في فقدانه لتقدير ذاته أو تـدني مستواه (Yves-Haesevotes,2000 :275). وهذا ما يتفق مع ما جاء به كلّ من ماسلو وميتلمان على أنّ مـن بـين العوامل المؤثرة في تقدير الذات والّتي تؤدي إلى انخفاضه، الشعور بالاختلاف عن الغير، والشـعور بالـذنب والإثـم (الماضي، 1414ه: 61-62)، وهو ما توضح أثناء المقابلات ونتائج مقياس تقدير الذات، حيث نجـد أنّ كـلّ حـالات الدراسة أشاروا إلى أنّهم يشعرون بأنّهم مختلفين عن الآخرين، خاصة من هم من نفس سنهم، وأنّهم يرغبـون فـي أن يكونوا أشخاصا آخرين، إضافة إلى ردة فعل العائلة السلبية المؤنّبة لهم والّتي ولّدت لديهم الشعور بالذنب والإثم.

وفيما يتعلّق بالجانب العائلي، والّذي يعتبر المنبع الأصلي للمساندة والمرافقة من أجل التّغلب على واقع الصدمة، والمستنجد الأول والأساسي للإحساس بالأمن والأمان، فقد تبيّن أنّ عدم تقبّل العائلة لما حـدث لطفلهـا واعتبارهـا أنّ الطفل هو من كان سببا في حدوث الاعتداء عليه وأنّه سمح بأن يقع عليه الاعتداء، وبالتّالي قيامها بمعاقبتـه بالضـرب وتغيّر معاملتها له، وكذا عدم أخذ أي إجراء ضد المعتدي. كلّ ذلك كان من شأنه تعزيز تدني مستوى تقدير الذات لدى هذه الحالات. وقد أشار "كوبر سميث" إلى أنّ تقدير الذات المرتفع لدى الأطفال مرتبط بشدّة بالقبول الوالـدي وبالحـب والحنان الوالدي تجاه أطفالهم، وأنّهما مهتمان بأنشطة أطفالهم وأصدقائهم، كما كانوا أكثر لطفا معهم وأقـل اسـتخداما للعقاب البدني المفرط (إسماعيل، 1996: 121). كما تشير دراستي كلّ من (بالدوين، Baldwin, 1949) و(جـورار وريمي، Jourard et Remy, 1955) إلى أنّ تلقي المساعدة والمعاونة والتشجيع من الآباء يساعد في تقـدير الـذات، وأمّا الشجار الدائم معهم يؤدي إلى تكوين شعور سلبي في تقدير الذات (فـي: Lawrence et Oliver, 2004: 15). فبالرجوع إلى ما أسفرت عنه نتائج الدراسة، نجد أنّ معظم الحالات لم تتلقى الدعم من طرف العائلة بل وأنّها ألقت عليه اللوم وقامت بتوبيخهم وسوء معاملتهم، وخاصة الأم، وهذا ما يمكن تفسيره بأنّ وقوع الاعتداء على الطفل يولد لدى الأم

شعورا بالخيبة، والتذمر والخوف من ردة فعل المجتمع الّذي غالبا ما يتّهمها بعدم القدرة على حماية طفلها، وبالتّالي فإن الأم تقوم بإسقاط مشاكلها واستيائها على طفلها، وهذا ما أشارت إليه مدرسة التحليل النفسي بـأنّ "سـلوك الوالـدين أو المحيطين بالطفل والذين يوقعون أي نوع من أنواع الأذى عليه قد يكون ناتجا عن دوافع لاشعورية "(آل سعود منيرة، 113:2005).

كما سجّل تدني مستوى تقدير الذات العلائقي، والّذي أثر سلبا على حالتهم النفسية، مع انعكاس ذلك على مستوى تحصيلهم الدراسي، الذّي عرف تراجعا كبيرا بسبب الحالة النفسية لهؤلاء الأطفال، إضافة إلى ما تلقوه من سوء معاملة من طرف أقرانهم (السخرية منهم، والشتم واللّمز). وهذا ما ولّد لدى معظم الحالات عدم الرغبـة فـي الـذهاب إلـى المدرسة، وحب الانعزال رغبة منهم في عدم الاحتكاك بالمحيط الخارجي. فحسب ما جاء في نظرية زيلر لتقدير الذات، والّتي تفترض أنّ تقدير الذات ينشأ ويتطور بلغة الواقع الاجتماعي، أي ينشأ داخل الإطار الاجتمـاعي للمحـيط الّـذي يعيش فيه الفرد، فإنّ تقدير الذات هو تقدير يقوم به الفرد لذاته، وهو يلعب دور المتغير الوسيط وأنّه يشـغل المنطقـة المتوسطة بين الذات والعالم الواقعي (في: صالح محمد أبو جادو، 1998: 174). وقد أعطى (زيلـر) لتقـدير الـذات مفهوم البناء الاجتماعي للذات وهو ينظر إلى تقدير الذات من زاوية نظرية المجال في الشخصية مؤكدا أنّ تقدير الذات لا يحدث إلاّ في الإطار المرجعي الاجتماعي وهو بذلك يشغل المنطقة المتوسطة بين الذات والعالم الواقعي، وعليه ففي حالة حدوث تغيرات في بيئة الشخص الاجتماعية، فإنّ تقدير الذات هو العامل المحدد لنوعية التّغيرات الّتي ستحدث في تقييم الفرد لذاته تبعا لذلك (كفافي علاء الدين،1989: 104-105).

خلاصة

يمكننا القول بأنّ تعرض هؤلاء الأطفال للاعتداء الجنسي من طرف شخص راشد قد نشأت عنه خيبـة كبيـرة اتجاه الشخص المعتدي عليهم واتجاه جميع الراشدين، الّذين من المفترض أن يكونوا منبعا للثقة والأمن. وهو الأمر الّذي يولّد لدى هؤلاء الأطفال الإحساس بالغضب والحقد وانخداعهم في علاقتهم بالأشخاص الراشدين، فيحوّلون تلك المشاعر إلى العدوان والرغبة في الانعزال عن المحيط كنتيجة لفقدانهم الثقة فيهم، وقد كان انخفاض تقدير الـذات لـدى هـؤلاء الأطفال المظهر الأساسي الّذي تبيّن من خلاله أنّ للأسرة دور كبير في عدم قدرة الطفل علـى تخطـي أثـر صـدمة الاعتداء، إمّا باتخاذها ردود فعل عنيفة وعدوانية (ضرب، شتم،..) أو لا مبالاة ، وكذا عـدم أخـذ أي إجـراء ضـد المعتدي، إضافة إلى غياب المساندة الوالدية الّتي تعتبر العامل الأساسي الّذي بواسطته قد يتمكّن الطفل من التغلب علـى صدمة الاعتداء.

المراجع:

1- آل سعود منيرة عبد الرحمان عبد الله، 2005، إيذاء الأطفال وأنواعه وأسبابه وخصائص المتعرضين له، رسالة دكتوراه منشورة/ جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، الرياض.

2- إسماعيل، 1996، مشكلات الطفل السلوكية وأساليب معاملة الوالدين، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية

3- بخاري الأمين ،(بدون سنة)، مفهوم الذات "Self concept"(02/01/2009) : visité le ,www.annafsia.com

4- حمدي عبد السلام رضوان،1992، معجم علم النفس المعاصر، دار العلم الجديدة- القاهرة.

5- رمضان، رشيدة عبد الرؤوف، 2000، آفاق معاصرة في الصحة النفسية للأبناء، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، القاهرة.

6- زهران حامد عبد السلام ، بدون سنة، الصحة النفسية والعلاج النفسي، عالم الكتب، القاهرة.

7- سبيلبرجر وآخرون، ترجمة أحمد عبد الخالق، 1984، كراسة تعليمات قائمة القلق الحالة والسمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

8- صالح محمد أبو جادو، 1998، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار المسيرة، عمان.

9- فاروق عبد الفتاح سلامة، 1987، مقارنة نحو الذكاء ونحو تقدير الذات في الطفولة والمراهقة، دراسة ميدانية، مجلة كلية التربية، جامعة الزقازيق، المجلد (2)، العدد (3).

10- فاروق عبد الفتاح موسى ومحمد أحمد دسوقي، 2003، اختبار تقدير الذات للأطفال، الطبعة الخامسة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

11- كفافي علاء الدين،1989، تقدير الذات في علاقته بالتنشئة الوالدية والأمن النفسي: : دارسة في عملية تقدير الذات، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، مجلة العلوم الاجتماعية ، المجلد التاسع، العدد (35)، الكويت، ص ص 100-128.

12- مزيان محمد، 1999، مبادئ في البحث النفسي والتربوي، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران.

13- مسن وآخرون، 1986، أسس سيكولوجية الطفولة والمراهقة، ترجمة أحمد سلامة، مكتبة الفلاح الكويت.

14- نهى القاطرجي، 2003، الاغتصاب دراسة تاريخية نفسية اجتماعية، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.

15- Cyrulnik Boris,1996, Un merveilleux Malheur, Ed. Odile Jacob.

16- Dhenin et coll.,2004, Relation client [BTS 1ère et 2ème année, BTS Négociation – Relation client, Ed Bréal.

17- Klein M et Rivière J,1989, L'amour et la haine, petite bibliothèque,Payot

18- Yves-Hiram Haesevoets, 2003, L'enfant victime d'inceste ; De la séduction traumatique à la violence sexuelle, 2ème Ed. De boeck université,

19- Yves- Hiram Haesevoets,2000, L'enfant en question : De la parole à l'épreuve du doute dans les allégations d'abus sexuelles, Ed. De boeck Université, Bruxelles.

20- Fédération française de psychiatrie, 2004, Conséquences des maltraitances sexuelles : reconnaitre, soigner, prévenir, Ed. John Libbey Eurotext.